الكلمة والمسئولية عنها

س: التعامل بين الناس في معظمه يتم عن طريق التخاطب معهم، ومن هنا جاءت أهمية الكلمة في حسن أو سوء التعامل بين الناس، في هذه الحلقة نحب أن نقف على خطورة الكلمة التي يتلفظ بها كل فرد منا، وهل هي عليه أم له وفى البداية نسأل: هل هناك كلام غير معتبر أو غير محسوب من كلامنا؟.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين. وبعد.

فقد سألت عن أمر على جانب كبير من الأهمية، وعن موضوع خطير، يحسبه الناس هيناً، وهو عند الله عظيم، هذا الموضوع هو دور الكلام واللفظ في حياتنا، وهل نحن مؤاخذون بما نقول. أم أن الكلام ـ كما يقال ـ ليس عليه ضرائب، فيتحدث الناس كما يشاؤن؟

إن الكلمة سلاح خطير، ربما تسهم في بناء المجتمع وتعلي من شأنه، وربما تثير في المجتمع فتنة، وربما توقع فيه شراً خطيراً، سواء أكانت الكلمة منطوقة أم مكتوبة. ولأثرها الكبير في المجتمع فإن الإسلام قد أحاطها بضوابط، وحذر من إطلاقها على عواهنها، بغير روية وتفكير، وإلا فإن نتيجة ذلك البوار والخسران. ولعلى بهذا الكلام المجمل قد أجبت عن سؤالك عن وجود كلام غير معتبر أو غير محسوب علينا. إن كل كلمة ننطقها، وكل لفظ نقوله، مسجل علينا، ومدون في صحائفنا، لا يستثنى من ذلك شيء. انظر إلى قول الله تعالى في سورة ق: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. ملكان يسجلان كل لفظ وكل كلمة لا يهملان ولا ينسيان، ويتحصل ذلك في سجل كامل يقدم إلى صاحبه يوم القيامة، «لا يغادر صغير ولا كبيرة إلا أحصاها»، وسيكون

الموقف من الجنة أو النار مبنياً على هذه الكلمات وتلك الألفاظ التي تفوه بها الفرد في هذه الدنيا، وسجلت عليه. سأل سيدنا معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيدنا رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله، أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**» إن دخول النار مرهون بكلام قيل، ودخول الجنة مرهون بكلام قيل، وسعادة الدنيا والآخرة رهن بكلام يقال، وشقاء الدنيا والآخرة رهن بكلام يقال.

س: هل المؤاخذة على ما يقال من كلام، تحدث سواء أكان المتحدث جاداً أم مازحاً؟

ج: نعم الناس مؤاخذون على ما يتفوهون به، سواء أكانوا جادين، أم مازحين. يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يَدْرِي أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يَدْرِي أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ رِضَاهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**». ويقول عليه الصلاة والسلام ما معناه، ويل لمن يقول الكلمة ليضحك بها الناس وهو كاذب، ويل له ثم ويل له، ثم ويل له. وروى البخاري ومسلم: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**»، فسواء كان جاداً أو مازحاً فهو مسئول عما ينطق به، إن كان فى رضا الله ارتفع بالكلمة إلى أعلى الدرجات، وإن كان من سخط الله تعالى هوى إلى أسفل الدركات.

س: ألم يأت في الأثر: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت؟ ألم يكن الرسول ﷺ يمزح؟

ج: بلى هذا الأثر قد ورد، ومزاح سيدنا رسول الله ﷺ ثابت في السنة المطهرة، ولكن هذا شيء وما يقع من الناس شيء آخر، إن ترويح القلوب شغلها باللهو المباح مثل الحديث مع الأهل وملاطفتهم أو الصمت وإغماض الأعين ساعة مثلاً، أما

ارتكاب المحرم بحجة الترويح عن النفس فهو معصية. وأما أن النبي ﷺ كان يمزح، فهذا حق ولكن بقية الخبر الذي ورد في السنة يميز لك المزاح المباح من غير المباح، فالحديث يقول: كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا صدقاً، فالمزاح المباح أن تروح عن النفس بقول الحق الذي فيه طرفة مثلاً أو دعوة للتفكير، أو تعليم للناس في شكل طرفة، وكل ذلك وارد في الخبر عن مزاح النبي ﷺ فقد جاءت عجوز تسأله الدعاء لها بالجنة، فقال لها إن الجنة لا يدخلها عجوز، فحزنت المرأة، فعلمها قائلاً: أما قرأت قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ فسرت المرأة وتعلمت أن الله يدخل النساء الجنة في أفضل صورة، شابات، أبكاراً، في سن متقاربة. أما الكذب فلا مجال له عند المسلم: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

س: ماذا عن مقالات الصحف وأحاديث الإذاعة، وبرامج التلفاز؟

ج: إنها كلام ككل الكلام، ما كان صدقاً، بانياً للمجتمع، يقدم حلولاً لمشكلاته، ويطالب بالعدل والإنصاف لأفراده، من أفراده وقادته، فهو كلام طيب مأجور عليه كاتبه أو قائله، وما كان غير ذلك مما يثير الفتنة ، أو يلهي الناس عن واقعهم، ويدغدغ مشاعرهم، ويدافع عن المفسدين والمجرمين، أو يلمع الفاسقين وينشر فسقهم فهو كلام خبيث، يمثل معصية قد تكون كبيرة، وقد تكون صغيرة بحسب أثرها. إن كل كاتب أو صاحب عمود في صحيفة، أو صاحب برنامج في إذاعة أو تلفاز، أو كاتب قصة أو رواية، أو سيناريو لفيلم، مسئول عن كل ما يكتب، وعليه أن يزن كلامه أو قوله بميزان الشريعة، فإن كان موافقاً لها كان مأجوراً على هذا الكلام، وإن كان مخالفاً لموازين الشريعة، كان مأزوراً معاقباً على ما قدم من الضلالات والأكاذيب والأباطيل التي ينشرها ويبثها بين الناس.

س: ما الأثر المترتب على مسئولية كل فرد عما يقول؟

ج: إن أثر ذلك ومردوده على المجتمع كبير، فإذا أدرك الإنسان أنه مسئول عن كل كلمة ينطقها أو يكتبها، فإنه يحاول أن يجعل كلامه مفيداً محققاً لمصلحته في الدنيا والآخرة، ومن ثم تصب كل الجهود في تقديم النافع من القول، والصواب من الأفكار. وإذا علمنا أن وقت كل فرد هو رأس ماله الحقيقي، وأن أوقات الأفراد هي رأس مال المجتمع الحقيقي، وضننا بهذا الوقت أن يضيع في كلام غير مفيد، ولفظ غير نافع، فإننا نكون قد وجهنا الناس إلى الاستفادة من أوقاتهم، وبالتالي يتم بناء المجتمع ويتحقق له التقدم. والفرق بين المجتمعات المتقدمة، والمجتمعات المتخلفة اليوم هو الفرق بين الذين يحافظون على أوقاتهم والذين يبددون هذه الأوقات. فالإسلام عندما يحرم الكلمة المضلة ويوجب اللفظ المفيد يهدف إلى صلاح الفرد وصلاح المجتمع، ونجاة الناس في الدنيا والآخرة.

هذا والله ولى التوفيق